واجب على الدوام وكذلك طاعة الله تعالى واجب على الدوام
وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وبه يعلم ايضا
انه واجب على جميع الناس على العموم وذلك لانه لا يخلوا احد عن
ذنب يصيبه اما بالجوارح او بالخواطر واقله الذهول والغفلة
عن الله تعالى والتوبة عنه شان الانبيا والصديقين وشان
من لم يرض من حياته بمجرد الوجود بلا فايدة فاما الاذكيا
الذين شرح الله صدورهم للاسلام وكتب في قلوبهم الايمان
فقد علموا ان كل نفس من انفاسهم جوهرة نفيسة لا قيمة لها حتى
ان الدنيا بما فيها اذا قوبلت بنفس لم تبلغ قيمته فحافظوا على اوقاتهم
وغيرهم تاهوا في غفلاتهم حتى اذا جا احدهم الموت فيقول رب لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يوخر
الله نفسا اذا جاء اجلها ومعناه ان يقول العبد عند كشف الغطا
يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي فاتوب واتزود صالحا
لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول
فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فتتغرغر روحه
وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عند عدم
التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب والعياذ بالله
اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان
سبقت له من الله الحسنى سبحانه الحسنى خرجت روحه على
التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضا بالشقوة والعياذ
بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة
ولمثل هذا قال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات
حتى اذا حضر احدهم الموت الاية وقال تعالى انما التوبة على الله للذين

يعملون

٧٨

يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب معناه ان يتبع السيئة الحسنة
تمحها كما ورد في الخبر بيان ان التوبة اذا استجمعت شرايطها
فهي مقبولة لا محالة اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك
ان كل توبة صحت فلا بد ان تكون مقبولة فالناظرون بنور
البصيرة الى انوار القران علموا ان كل قلب سليم عند الله تعالى
مقبول مستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا
ان القلب خلق سليما في الاصل وانما تفوته السلامة لكدورة
ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق
تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة
وانه لا طاقة لظلمة المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام
الليل مع نور النهار وكما لا تبقى كدورة الوسخ مع بياض الصابون الا
ان يكون والعياذ بالله قد افسدت الذنوب جرم القلب لكثرتها
ودوامها كما قال تعالى في حق الكفار كلا بل ران على قلوبهم وقوله
بل طبع الله على قلوبهم وذلك في حق الكافرين والمنافقين اما المسلم
فلا قال عليه الصلاة والسلام لو عملتم الخطايا حتى يبلغ السما ثم
ندمتم لتاب الله عليكم بيان ما عنه التوبة وهي الذنوب كلها وقد علمت
ذلك فيما سبق ذكره في الصفات المذمومة وما يتولد منها من الاعمال
فالتوبة عن الكل الكباير والصغاير جميعا وقد قيل لا صغيرة مع
اصرار ولا كبيرة مع استغفار فاذا عرفت ذلك فاعلم ان ما يتعلق
به حق الغير فلا تصح التوبة عنه الا بتحلله وتفويض الامر اليه
كالقصاص والمظالم وانواع الغرامات وحد القذف فان المراد بالتوبة من
امتنع عنها وطريق حل عقدة الاصرار عن قلبه ان يخوفه بما ورد من
الايات والاخبار في احوال المذنبين ويذكره بحال من مات على الشرك

لظلمة

والمنافقين

بتحكيمه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)